محاضرة السادسة

الفكر الاقتصادي عند الكلاسيك (المدرسة الكلاسيكية)

كان ظهور ما يعرف بالمدرسة الكلاسيكية "l'ecole classique" في تاريخ الفكر الاقتصادي مرتبطا بالتطور الذي حدث في الحياة الأوروبية منذ نشأة الرأسمالية التجارية، ولكي نفهم كيف كانت آراء المدرسة الكلاسيكية انعكاسا لهذا التطور واستجابة لمقتضياته، يستحسن فهم أهم ملامح الجو الاقتصادي والفكري[*]، الذي نوجزه فيما يلي:

- الرأسمالية الصناعية أدت إلى ظهور الآلة والتي بدورها زادت من الانتاج مما استوجب ضرورة أن تكون هناك حرية اقتصادية بغرض تصريفه والذي يؤدي لتقليل من البطالة.
- الجو الفكر العام: إنتشار القانون العلمي (نيوتن) وكذا التأكيد على أهمية الفرد التي ترتبط به كل القيم والاحكام.

1) الفكر الاقتصادي الكلاسيكي: ظهرت مدرسة الكلاسيك وهي أهم مدرسة في تاريخ الفكر الاقتصادي، حيث وضع أسسها "أدم سميث" (1723-1790) الذي تأثر بآراء الطبعيين، واكتسبت المدرسة قوة كبيرة على يد "دافيد ريكاردو" الذي تنسب إليه أغلب آراء المدرسة ويتميز بدقة منطقه وبدرجة عالية من الفكر التجريدي. وتلاهم فيما بعد العديد من المفكرين "جون ستيورت ميل" في انجلترا اضافة لسبقسن، و"جان باتست ساى" في فرنسا وغيرهم.

1-1) التحليل الاقتصادي: بنى الكلاسيك كل تحليلهم الاقتصادي على فلسفة عامة ويمكن اجمال أهمها فيما يلي:

أ) الفرد هو الوحدة الرئيسية للنشاط الاقتصادي (المصلحة الخاصة المحرك الأساسي لنشاط).

ب) يسعى كل فرد للحصول على أكبر نفع شخصي ممكن (دافعه تحقيق أكبر ربح لا دفعه خيري)، ولكن الكلاسيك وضحوا أنه لا يوجد تعارض بين المصالح الخاصة والعامة وذلك من خلال:

- المصلحة الخاصة ليست سوى مجموع المصالح.
- مبادلات النظام الاقتصادي تحصل في مقابل أثمان تدفع للسلع والخدمات هذه الاثمان تتغير بحسب الطلب والعرض (جهاز الثمن).

ج) أعتقد الكلاسيك بوجود قوانين طبيعية تحكم النشاط الاقتصادي فالاقتصاد علم كبقية العلوم له قوانينه الطبيعية العامة التي يكشفها ويحددها الباحث، انقسم الكلاسيك إلى متفائلين ومتشائمين تجاه القانون الطبيعي[**].

1-2) نظريتهم في الانتاج: الانتاج هو خلق المنافع أو زيادتها، وعناصر الانتاج لديهم هي: الطبيعة، العمل ورأس المال، والعمل هو العنصر الرئيسي.

أثرت فكرتهم في نظرية القيمة، وقد اهتموا بناحيتين من النواحي الفنية للانتاج وهما:

- **تقسيم العمل**: يرجع الفضل إلى "آدم سميث" في دراسة هذه الظاهرة، فقد بين كيف أن تقسيم عملية انتاج سلعة من السلع إلى عدة عمليات جزئية يقوم بها شخص أو أشخاص يتخصصون لها يؤدي إلى زيادة انتاجية العمل الانساني.

---

[*] لاطلاع أكثر راجع محمد لبيب شقير أو مدحت القريشي ، تاريخ الفكر الاقتصادي.

[**] النقصود بالتفاؤل قانون الطبيعي يمكن أن يحدث ضرر لكنه شئ عابر (كلاسيك الفرنسيين)، أما التشاؤم يقصد به أن القانون الطبيعي يسبب الضرر ومتاعب التي تجبر الناس على تحملها.

- **قانون تناقص الغلة:** تطرق إليها "ريكاردو" وفكرته أنه اذا كانت كمية عنصر من عناصر الانتاج ولتكن الارض ثابتة لدينا (5 هكتارات مثلا) وشغلنا عليها دفعات متتالية ومتساوية من العناصر الأخرى (العمل ورأس المال) أي شغلنا 10 عمال وآلة واحدة أولا، ثم 10 عمال وآلة واحدة ثانيا...وهكذا، فإن كمية الانتاج التي يتزايد بها الانتاج تأخذ في التزايد ثم تصل إلى حد معين وتأخذ في التناقص،ويلاحظ أن الذي يتناقص كمية الزيادة في الانتاج الكلي وليس الانتاج الكلي نفسه.

هذا القانون لم يعد مقتصر على الزراعة فقط بل أثبت حديثا صلاحيته للصناعة والتجارة.

1-3) نظريتهم في السكان: أخذوا بنظرية "مالتس" في السكان وجعلوها أساساً من أسس بحثهم في موضوعات الأخرى،و خلاصة هذه النظرية تكمن في نقاط الآتية:

- مقدار السكان محكوم بكمية المواد الغذائية الموجودة؛
- تزايد السكان نتيجة التناسل يكون بدرجة أكبر من درجة الزيادة في المواد الغذائية التي تنتجها الأرض؛
- الاختلال بين السكان والمواد الغذائية لا يمكن أن يستمر لأن طبيعة نفسها توجد موانع (ايجابية ووقائية) التي توقف هذا الاحتلال.

1-4) نظريتهم في القيمة: تم التفرقة بين قيمة الاستعمال وقيمة المبادلة.

- **قيمة الاستعمال:** هي المنفعة التي تعود على الشخص من استعماله لسلعة ما.
- **قيمة المبادلة:** هي النسبة التي تحصل على أساسها مبادلة سلعة بسلعة في السوق، وتتحدد قيمة المبادلة لأي سلعة في رآيهم على أساس العمل الذي تحتويه (ساعات العمل المبذولة) وعرفت بنظرية "قيمة العمل".

1-5) موقفهم من مشكلة التشغيل: اعتقد الكتاب الكلاسيك أن حجم التشغيل "employment" لابد يتحدد عند مستوى التشغيل الشامل (الكامل)؛ بمعنى كل العمال المتواجدون في الاقتصاد الوطني والراغبين في العمل لا بد أن يشتغلوا، وأن حصلت بطالة فيها ظاهرة عابرة(وضح انعدام البطالة في العلاقة بين أجور والمنظمين). واعتمد الكلاسيك في هذا تحليلهم لفكرة على أن حجم الانتاج الكلي ثابت عند مستوى واحد.

1-6) نظرية التوزيع: اهتموا بالكشف عن القوانين التي تحكم توزيع الناتج الكلي (ليس التوزيع الشخصي) بين عناصر الانتاج المختلفة (العمل ورأس المال والطبيعة)، حتى اعتبر "ريكاردو" التوزيع هو المشكلة الأساسية على اعتبار أن التشغيل شامل وحجم الانتاج الكلي ثابت. ويمكن تلخيص آرائهم في التوزيع فيما يلي:

- **الريع "rent":** ريع كما عرفنها في السابق هو نظير ما يتحصل عليها ملاك الأرضي نظير سماح لغيرهم باستغلالها. أما عن كيفية تحديد الريع (الاضافة الجديدة) فقد دارسها "ريكاردو" فالريع هو الفرق بين أثمان المنتجات التي تحدد على أساس نفقاتها في الأراضي الأقل خصوبة. وأرجعه لعاملين تكاثر السكان والالتجاء إلى أرض أقل خصوبة.
- **الأجر:** اعتبروه سلعة كغيره من السلع، فالأجر اذا هو ثمن سلعة العمل ويتحدد على أساس كمية المواد الغذائية الضرورية لحفاظ حياة العامل. ويتحدد طبقا لنظرية القيمة (ساعات العمل) كما أنه لا يمكن أن يرتفع أو ينخفض لأنه يؤثر على عدد السكان (نظرية السكان).

- **الربح والفائدة:** لفهم الفرق بينهما كان لا بد من التميز بين المنظم وهو الذي يشرف على المشروع ويتحمل مخاطره (الربح)، والرأسمالي الذي يقرض نقوده (الفائدة) و "Say" ميز بينهما[*]. والفائدة تتحدد بارتفاع والانخفاض العرض والطلب على الادخار –اذا زاد عرض الادخار عن طلبه ينخفض سعر الفائدة والعكس بالعكس–.

ي)النقود: النقود عندهم وسيط للمبادلة وأداة لقياس القيمة ولم يعطوا أهمية لوظيفتها الثالثة كمخزن للقيمة –أي هي تسهل المبادلات فقط–، ولم يتصور أنها تحدث ضرر بالاقتصاد. أما فيما يخص تقلبات المستوى العام للأسعار (قيمة النقود) فقد فسروها بنظرية الكمية؛ أي حدوث تقلبات في مستوى الأسعار في المدى القصير راجع لكمية النقود بالارتفاع والانخفاض.

1–7) التجارة الخارجية: نادوا بالحرية الاقتصادية على نطاق دولي على عكس التجاريون، فإتباع سياسة تجارية حرة يؤدي بكل بلد إلى التخصص في انتاج السلع التي يتمتع فيها بميزة نسبية في مواجهة الدول الأخرى. (الكتاب الانجليز خدموا بلدهم الصناعي لأن باقي البلدان زراعية).

2) السياسة الاقتصادية: نادوا بالحرية الاقتصادية في العلاقات الاقتصادية الداخلية والخارجية، وسياسة تتخلص في العبارة المذكورة سابقا عند الطبيعيين "دعه يعمل دعه يمر"، أي أن تدخل الدولة حدده في صياغة الأمن، الزام الجميع باحترام القانون، حماية الملكية الخاصة، والقيام بالمشروعات التي لا يستطيع الافراد القيام بها.

3) تقييم (تقدير) المدرسة الكلاسيكية: حينما نتطرق للتقييم نظام أو مدرسة، أي أننا نذكر المزايا (ايجابيات) والعيوب (الانتقادات).

1–3) المزايا:

– دفعت بالفكر الاقتصادي بجعله علم اقتصاد مستقل وأصبح يدرس في الجامعات.

– لهم الفضل في ظهور أساتذة مختصين في علم الاقتصاد.

– وأرجع البعض أن علم الاقتصاد مجرد تكملة للفكر الكلاسيكي.

2–3) العيوب: تعرضت للعديد من الانتقادات من جميع النواحي، وفي الآتي نورد ثلاث اتجاهات للنقد:

أ) من حيث طريقة البحث: نقدهم فيها كتاب المدرسة التاريخية الألمانية بزعامة "روشر"، حيث كانوا يرو أن القوانين الاقتصادية ليست مطلقة أو عامة في تطبيقها على الاقتصاد في أي دولة أو زمان بل هي قوانين خاصة تخضع لها الدول بحسب ظروفها وبحسب المراحل.

ب) من حيث التحليل الاقتصادي: يمكن تلخيصها أهمها فيما يلي:

- **نظرية القيمة:** انتقدت من خلال أن العمل ليس العنصر الانتاجي الوحيد لأي سلعة فهناك الطبيعة ورأس المال، كما أنها اهملت جانب الشخصي الذي يدخل في تحديد قيمة السلعة والمتمثل في المنفعة.
- **التوزيع:** انتقدت نظرية التوزيع بشكل واسع، حيث يتجه الفكر الاقتصادي الحديث إلى النظر للتوزيع على أنه يتحدد طبقا "نظرية الحدية" –سنتطرق لها فيما بعد– التي تقتضي أن ما يحصل عليه كل عنصر من عناصر الانتاج انما يتحدد

[*] كلاسيك الأوائل منهم "ريكاردو" لم يميزوا بين المنظم والرأسمالي المقرض.

على أساس الانتاجية الحدية لهذا العنصر، فالأجر يتحدد على أساس الانتاجية الحدية للعمال، وسعر الفائدة يتحدد على أساس الانتاجية الحدية لرأس المال أو على أساس المنفعة الحدية لحيازة النقود.

- **النقود والتجارة الخارجية**: انتقد الكلاسيك من طرف "كينز" باعتقادهم بأن النقود ليس لها تأثير في الاقتصاد وأن وظيفتها كمخزن للقيمة لا تقل أهمية عنها كوسيط للمبادلة التي اهتموا بها الكلاسيك، حيث بين "كينز" أن النقود من الممكن أن تحدث بطالة.

أما فيما يخص التجارة الخارجية افترض الكلاسيك عدم حدوث تغيير في الميزة النسبية، ولكن لوحظ أن هناك دول فقدت هذه الميزة نتيجة تغير ظروف الانتاج.

- **التشغيل**: أهم وأخطر نقد وجه للكلاسيك كان بخصوص نظرية التشغيل، فقد بين "كينز" أن انخفاض الأجر له احتمال كبير في زيادة البطالة لا القضاء عليها كما اعتقد الكلاسيك، كما أن بين أن التشغيل لا يكون دائما شامل لكل العمال بل قد يبقى مستوى التشغيل أقل من المستوى الشامل.

ج) من ناحية السياسة الاقتصادية: انتقدت السياسة الاقتصادية الحرة التي نادى بها الكلاسيك، وجاء هذا النقد في عمومه أن الحرية لا يجب أن تكون مطلقة، ومن أهم نواحى النقد الموجه كانت كما يلي:

- أدت لتكوين احتكارات ضخمة قضت على المشروعات المنافسة.
- راعت الازمات التي أخذت تمر على النظام الرأسمالي منذ بداية القرن التاسع عشر.
- أدت الحرية الاقتصادية لسوء توزيع الدخل والثروة، مما يتلاءم والعادلة الاجتماعية، هذا التوزيع الغير العادل يؤدى لخلل داخل الاقتصاد وحدوث أزمات وبطالة.
- سياسة الحرية التجارية المطلقة كانت تتلاءم وحالة انجلترا كبلد صناعي في القرن التاسع عشر دون مراعاة باقي الدول، وهو ما رفضه الكتاب الألمان (سبب تور ألماني صناعيا حمو صناعتهم المحلية من الاغراق بفرض رسوم جمروكية).